صمّام الأمان

بقلم: معالي الأستاذ غازي العريضي . وزير الإعلام اللبناني

قبل أن ألتقي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود أول مرة - وكان يومها ولياً للعهد - وكنت برفقة الزعيم الوطني وليد جنبلاط في رحاب المملكة، كان ثمة أفكار عامة لدي عن هذا الرجل سمعتها من رجال كبار عرفوه وعاصروه والتقوه في أكثر من محطة. وكنت متابعاً بطبيعة الحال للأحداث السياسية. وفي لبنان، من يتعاطى السياسة باحتراف ويفهم اللعبة السياسية بتشابكاتها وتعقيداتها وتنوعها وارتباط عناصرها بكل ما يجري في المنطقة والعالم... لا بد له أن يتعلم الكثير من جهة، وأن يطل على ما يجري في محيطه العربي وفي العالم من جهة أخرى. وهذا ما يميّز غنى التجربة السياسية اللبنانية وتجربة السفراء والقناصل والموفدين الدوليين والعرب الى لبنان.

من هذا المنطلق والى جانب المعرفة العامة بشخصية خادم الحرمين الشريفين ، كنت أتابع مواقف الرجل في المملكة ، في الشؤون الداخلية ، وفي الشؤون العربية ، لاسيما فيما يخص قضية فلسطين . وكنت أرى فيه رجلاً مؤمناً وقومياً وعربياً ومسلماً صادقاً .

عندما التقيته أول مرة ، حاولت أن أسبر أغوار شخصيته ، وأن أقارن بين ما تجمّع في ذاكرتي وما أراه أمامي . أقول بحق: شعرت أنني في حضرة رجل كبير ، عتيق ، عريق ، خبير ، " عجنته " الأيام ، بحلوها ومرها ، فأكسبته معرفة بالناس وأحوالهم وقضاياهم ، وبالدول وهمومها

في يوم الوطن .. الملك عبدالله ومسيرة التطوير والإصلاح

ورجالها ، وقدرة على التحمّل والصبر ، محصّنة بتواضع وهدوء. لافتين أعتقد أنهما من أبرز صفات هذا القائد؛ فالهدوء والتواضع صفتا قوة فكيف إذا تكاملتا مع صفات الأخلاق والمعرفة والخبرة والذكاء ؟

أذكر أنني كتبت في يومياتي أن الاطلاع على سياسة المملكة من المملكة ذاتها ، والوقوف على رأي قادتها ولاسيما الأمير عبدالله بن عبد العزيز - آنذاك - هما مختلفان عن قراءة تلك السياسة ومواقف من وراءها ، من بعيد ، وأن المملكة العربية السعودية التي كان ينظر اليها البعض أنها محكومة بنظام مغلق وبعيد عن " القضايا القومية " ستكون آخر نظام قومي عربي نظراً لما سمعته من ذلك الرجل !! وكررت هذا التعبير في أكثر من مناسبة، وكنت بعد تلك الزيارة أراقب الأحداث والمواقف السعودية منها ، والميزان أو المعيار هو هذه المعادلة التي كانت تترسخ أكثر فأكثر كلما انتقلنا من محطة الى أخرى .

وفي لقاء آخر في بيروت في منزل الرئيس الشهيد رفيق الحريري وأيضاً برفقة الزعيم وليد جنبلاط ، أسهب في الحديث عن لبنان وحبه له ودوره في المنطقة وتقديره لأهله ، كل أهله ، وعن الزعيم الراحل الكبير الشهيد كمال جنبلاط الذي ربطته به علاقة أخوية وكان بسببها ينظر الى " وليد " نظرة الأب لابنه ، أو لابن أخ أحبه بكل صدق ووفاء . استعرض في ذلك اللقاء ذكرياته في الجبل ومع أهله ، متأثراً بعفويتهم وكرمهم وفروسيتهم وصفاء سريرتهم وتواضعهم ولا يعرف هذه الصفات إلا ذووها !!

وفي السياسة كان دائماً في موقع الناصح الصادق المستند الى الخبرة والمعرفة والقراءة الثاقبة والمعلومات . كانت زيارته تلك دعماً كبيراً للبنان ، تأكدت فيها أكثر مما كنت أسمعه من البعض أن المملكة لا تبحث في لبنان عن مصلحة خاصة ، وحسابات خاصة ، ولا تريد التدخل في شؤونه الداخلية . لقد كان الرئيس الشهيد رفيق الحريري من أصدق وأوفى الناس لالتزاماته وخصوصاً تجاه مملكة الخير والتسامح وقادتها ، لكن المملكة كانت تتطلع الى كل لبنان وتقيم علاقات مع كل اللبنانيين تكريساً لتاريخ وقيم ومسلكية اعتمدتها منذ عقود من الزمن .

وفي لقاء في جدة ، بعد مؤتمر بيروت لوزراء الإعلام العرب ، وكنت رئيساً لدورة المجلس ، وبعد أن عرضت للأمير عبدالله الخطة التي أقرها المجلس للتحرك الإعلامي الخارجي ، وتقديم الصورة الحقيقية عن العرب والمسلمين والرد على كل الحملات الظالمة التي كانت تستهدفهم ، في حضور عدد من الزملاء الوزراء وقبل أحداث الحادي عشر من أيلول بأسابيع ثلاثة بادر الى القول فوراً : " أهنئكم على هذا العمل . لقد سبقتم وزراء الخارجية والقادة . هذا ما يجب أن نقوم به جميعاً وكل إمكاناتنا تحت تصرفكم " . وكان نقاش معه حول أوضاع المنطقة والعرب والمسلمين وحول الإعلام ودوره وكان ملماً بكثير من التفاصيل.

وفي لقاء آخر في بيروت أثناء انعقاد القمة العربية في بيروت التي تبنت مبادرته وأطلقت تحت اسم (مبادرة السلام العربية) ، كان الرجل في منتهى الصدق بالتزامه لفلسطين وقضيتها وحق شعبها في دولة مستقلة على أرضه ، وبحق لبنان في تحرير كامل أرضه وكذلك سوريا ،

• شعرت أنني في حضرة رجل كبير، عتيق، عريق، خبير، "عجنته" الأيام، بحلوها ومرها، فأكسبته معرفة بالناس وأحوالهم وقضاياهم، وبالدول وهمومها ورجالها، وقدرة على التحمّل والصبر.

• إن العرب أمام فرصة كبيرة بوجود هذا القائد الفارس النبيل الشجاع الحكيم الصبور العاقل وصاحب الرؤيا الواضحة؛ فليستفيدوا منها.

وبتطبيق القرارات الدولية . وساهم في تحقيق مصالحات عربية - عربية بعد الجرح العربي الكبير الذي حصل بفعل اجتياح العراق للكويت . كان في المؤتمر أباً لقادة وأخاً لآخرين ورمز وحدة وتضامن وتعاون وحرص على موقف عربي موحد . ومنذ اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري وحتى اليوم التقيته تسع مرات . وهو في قمة تأثره بالجريمة ، ونحن في قمة توتر علاقاتنا بالقيادة السورية التي يشتبه ببعض عناصرها ودورهم في الجريمة في تقارير لجنة التحقيق الدولية ، كان الملك عبدالله بن عبدالعزيز صاحب القلب الكبير والعقل الراجح والنفس الطويل . عندما كان يشعر أن الحق الى جانبنا كان يقول : " معكم حق، أفهم وضعكم ولكن انتبهوا الى كل كلمة تقولونها... انتبهوا أين تقفون، وكيف تقفون، وكيف تنطلقون من حيث أنتم واقفون . والجموا أنفسكم، ولا تتسرعوا ولا تنفعلوا " ... وعندما كان يرى أننا مخطئون كان يقول : "ليس هكذا تدار الأمور . لا تبالغوا . أنتم تتحملون المسؤولية في هذه المسألة أو تلك ... صونوا ألسنتكم لتصونكم . اصبروا فالصبر هو الأساس والحقيقة تظهر وانتبهوا الى ما يدور حولكم وحولنا " .

وفي كل الحالات كان يقول : " سوريا غالية علينا جميعاً ولبنان غال علينا . أهم شيء هو وحدتكم الوطنية وأن تكونوا كلبنانيين متضامنين أقوياء متحدين . وأن تكون علاقاتكم بسوريا جيدة وقوية . أي مسلم مؤمن وشريف وأي عربي مؤمن وشريف يجب أن يعمل على استقرار سوريا وأمنها وعلى استقرار وازدهار لبنان وتطوره وحمايته " .

وهو في ذلك كان يشير الى الوضع الذي وصلت اليه المنطقة ، والمخاطر التي تهددها ، والمشاريع التي تستهدفها ، والى الأخطاء التي ارتكبت من الدول الكبرى ولاسيما الإدارة الأميركية حيث عبّرت مواقف سعودية كثيرة عن

في يوم الوطن .. الملك عبدالله ومسيرة التطوير والإصلاح

القلق مما يجري في المنطقة من العراق الى فلسطين التي، بغض النظر عن مواقف حركة حماس التي انتصرت في الانتخابات، انحازت المملكة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الى الشعب الفلسطيني وخياراته ومصالحه ....

هذا الرجل الكبير النبيل كان ولا يزال ينظر الى الأمور بشمولية . ليس فئوياً وليس منغلقاً أو متعصباً . ولا يساوم على مبدأ وقناعة في كل علاقاته واتصالاته ومواقفه بل يتابع كل شيء ويتصرف بحكمة وعقلانية وشجاعة . حتى عندما رد عليه بعض الذين استوعبهم وعمل من أجل خيرهم ، بالإساءة والاتهام ، استوعب اتهاماتهم ولم يرم سهامه في وجههم لأنه غلّب المصلحة الوطنية والقومية على كل الانفعالات . هو صمّام أمان في محيط المملكة ، وفي إدارة كل الملفات وصمّام أمان الاستقرار العربي .

بعد كل الزيارات الأخيرة للمملكة وتشرّفي بلقائه ، كنت أعبر عن قناعة استخلصتها مما سمعت ورأيت : إن العرب أمام فرصة كبيرة بوجود هذا القائد الفارس النبيل الشجاع الحكيم الصبور العاقل وصاحب الرؤيا الواضحة؛ فليستفيدوا منها . كثيرون كابروا وتهوروا وتوتروا وخسروا ، واتهموا وحكموا وظلموا . ومع ذلك يبقى كبيراً فاحتضن لبنان كل لبنان ، وكان المبادر السبّاق الى حمايته ومساعدته ودعمه في وجه الحرب الاسرائيلية ضده ، واستنفر كل المؤسسات والقطاعات في المملكة لنصرة الشعب اللبناني ولم يميّز بين منطقة وأخرى وطائفة وأخرى . وبقي يوصي بالوحدة الوطنية والمحافظة على لبنان .

في منطقة تهب عليها العواصف من كل الجهات، وتطوقها الحروب والأحداث الدامية، وتستهدفها مشاريع خطيرة مدمرة... يقف هذا الرجل الكبير مؤمناً بالحق والعدل متسلحاً بالايمان والعزيمة والإرادة وحب شعبه، لا يخاف إلا الله، فيقدم بخطى ثابتة نحو التنمية والتطور في الداخل، والسلم والاستقرار في محيطه .

• في منطقة تهب عليها العواصف من كل الجهات، وتطوقها الحروب والأحداث الدامية، وتستهدفها مشاريع خطيرة مدمرة... يقف هذا الرجل الكبير مؤمناً بالحق والعدل متسلحاً بالايمان والعزيمة والإرادة وحب شعبه، لا يخاف إلا الله، فيقدم بخطى ثابتة نحو التنمية والتطور في الداخل، والسلم والاستقرار في محيطه.